دراسة تحليلية حول أسباب تعدّد زوجات النبي ﷺ

السيد لطف الله جلالي[1]

خلاصة البحث

اليوم، ومع هيمنة الفكر الليبرالي في العالم المعاصر، تعرّضت العديد من قضايا التاريخ الإسلامي للنقد، وشُنّت العديد من الهجمات على الإسلام والمسلمين من قبل أعداء الدين؛ وكان النبي ﷺ وسيرته على رأس ما استهدفته هذه الهجمات، كما أنّ مسألة تعدّد زوجات النبي ﷺ هي ممّا تكتنفه الكثير من الشبهات وتتّهم الرسول بالشهوانيّة.

وقد بحث هذا المقال في الشبهة المذكورة آنفاً، من خلال تفحص تراجم نساء النبي وعددهنّ باختصار، وقد توصل إلى أنّ تعدّد الأزواج كان معروفًا في سيرة الأنبياء عليهم السلام كما كان شائعًا في عصر النبي ﷺ، حيث لم يكن أيّ حدّ في اتّخاذ الزوجات. لكن الإسلام قد حدّد عددهنّ بأربع، واشترط على الرجل أن يقيم العدل بين زوجاته. وقد قضى رسول الله ﷺ أكبر جزء من حياته وشبابه مع امرأةٍ واحدةٍ، ولم يتزوّج في كهولته إلّا لأسباب سياسيّة وعاطفيّة وثقافيّة وأخلاقيّة ودينيّة. فلم يكن الزواج المتعدّد للنبي ﷺ رغبةً جنسيّةً منه بالنساء، بل من أجل الاعتلاء بالإسلام، وإقامة المودّة بين المسلمين والقبائل الأخرى، وإكرام النساء المنكوبات في الحرب والجهاد، وامتثال أمر الله، ونحو ذلك؛ فإنّ مثل هذه الشبهة مرفوضةٌ تمامًا.

المفردات الرئيسة: النبي ﷺ، أزواج النبي، تعدّد الزوجات، الأنبياء، خصائص النبي.

---

١. أستاذ مساعد من أفغانستان، قسم الأديان الإبراهيمية، مركز المصطفى الدولي للدراسات والبحوث، جامعة المصطفى العالمية، قم، إيران. syedlotfolah_jalali@miu.ac.ir .

مقدّمة

يمكن دراسة حياة خاتم الأنبياء ﷺ من زوايا مختلفة. فمن القضايا المهمّة في تاريخ النبي الأكرم ﷺ هي حياته الشخصيّة، وخاصّة سيرته العائليّة، وهو ما يمكن دراسته من أبعاد مختلفة كالبعد الأخلاقي والتربوي وغيرهما.

نتحدّث في هذا المقال عن سبب تعدّد زوجات النبي ﷺ، لكن ليس من منظار سيرته الأخلاقيّة في التعامل مع زوجاته في محيط الأسرة؛ بل نريد الإجابة عن السؤال المطروح أنّه لماذا تعدّدت زوجات النبي؟ وقد حظيت هذه المسألة بأهمّيّة خاصّة، إذ إنّ بعض أعداء الإسلام اتّهموه بانتهاز منصبه لزيادة عدد الزوجات واستغلال النساء، وقد أثاروا الشبهة بأنّ نبي الإسلام، وخلافاً لسائر الأنبياء الذين كانوا زاهدين تاركين للدنيا وما فيها من النساء، كان همّه الوحيد تحقيق المزيد من السلطة والمتعة والشهوة، وفي الواقع، يريدون بذلك التشكيك في أصل رسالة الإسلام.

نبحث في هذا المقال عن الدعوى القائلة بأنه هل كان اختيار النبي للزوجات المتعدّدة لإشباع رغباته الجنسيّة، أو كان لعناصر أخرى دور في هذا الأمر؟

١) طرح الشبهة

إنَّ المستشرقين وإن كان بعضهم يكنّون نظرة احترام للنبي ﷺ وطريقة تعامله مع النساء، ويقرون بزهده والاعتدال في سلوكه، ويرون أنّ التعدّد في زواجه لم يكن من قبيل الشهوانيّة، بل كان له حكمة وأسباب اجتماعيّة وسياسيّة محددة[١]؛ إلّا أنّ بعضهم يتّهمونه بالشهوانيّة ويرون أنّ زواجه المتعدّد كان بدافع إشباع الرغبة الجنسيّة، ومن هؤلاء المستشرقين غوستاف لوبون العالم الفرنسي الشهير؛ فإنّه وإن كان يمتلك وجهة نظرٍ علميّة وغير منحازة في كثير من الأحيان، لكنّه فيما يتعلّق بتعدّد زوجات النبي ﷺ

١. انظر: *عذر تقصير به پيشگاه محمد و قرآن*، ٥٢؛ *الأبطال*، ٧١؛ *تاريخ تمدن*، ٣٢.

يعتقد أنّه كان نتيجة ولعه الشديد بالنساء، مؤكّدًا أنّ هذا الولع بالنساء ظهر في أواخر عهد النبي وكان إلى درجة أنّه لم يكن يخفيه عن أنظار الآخرين؛ من وجهة نظر لوبون، هذا الولع قد دفعه إلى الزواج من النساء بغض النظر عن أعمارهنّ، وبالتالي قد تعرّض لانتقادات شديدة[١].

٢) الفرضيّات

للإجابة عن هذا السؤال يمكن طرح عدّة فرضيّات:

الأولى: ما يدعيه أعداء النبي ﷺ أنّه كان بصدد تحقيق السلطة والمتعة قدر الإمكان، فمن خلال استغلال منصبه وشعبيّته ونفوذه تمكّن من الزواج بعددٍ كبيرٍ من النساء.

الثانية: هي القول بأنّ الرجال والشخصيّات المعنويّة الكبار أقوياء في أجسادهم ورغباتهم الجسمانيّة كما هم أقوياء في أرواحهم؛ ولذلك فإنّ امرأة أو امرأتين لا تكفيان لتلبية حاجاتهم الجنسيّة. والأنبياء، الذين هم في أعلى المراحل الروحيّة، لديهم رغبات جسديّة قويّة جدّاً فلابدّ لهم لإرضائها باختيار زوجاتٍ متعدّدة.

الثالثة هي القول بأنّ تعدّد الزوجات عند النبي ﷺ لا علاقة له بالشهوة والرغبة الجنسيّة، ولكن العوامل الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والتربويّة والأخلاقيّة والدينيّة هي التي دفعت النبي إلى اتّخاذ زوجاتٍ متعدّدة.

والآن، من أجل دحض أو إثبات الفرضيّات المذكورة آنفاً واختيار ما هو الصحيح من بينها، نلقي أوّلاً نظرة إلى التاريخ كمدخل إلى البحث، ونستعرض قائمة بأسماء زوجات النبي ﷺ مع موجزٍ لخصائصهنّ ما قد يساعد في هذا التحقيق، وكذلك تاريخ زواج كلّ منهنّ بالنبي ﷺ، ثمّ سنقوم بتحليل الفرضيّات المذكورة آنفاً وتقييم مصداقيّة كلّ منها.

١. انظر: *تمدن إسلام وعرب*، ١١٦ـ١٢٥.

٣) نبذة عن تراجم زوجات الرسول ﷺ

وفقًا للوثائق التاريخيّة فإنّ النبي ﷺ تزوّج أكثر من عشر مرّات، ولم يكن له سوى زوجة واحدة حتّى بلغ حوالي الخمسين من عمره، وذلك من السنة العاشرة للبعثة إلى السنة السابعة للهجرة، أي عندما كان عمره حوالي خمسين إلى ستين سنة، ولم يتزوّج في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته. وقد اختلفت الروايات في عدد زوجات النبي ﷺ[١]؛ فقد ورد في بعض الأخبار أنّهن نحو ٢٥ زوجة بما فيهنّ الإماء، وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسَ عَشْرَةَ امْرَأَةً وَ دَخَلَ بِثَلَاثَ عَشْرَةَ مِنْهُنَّ وَ قُبِضَ عَنْ تِسْعٍ[٢].

وفيما يلي أسماء أزواج النبي وتراجمهنّ بإيجاز، وذلك بالترتيب التقريبي لتواريخ زواجهنّ من النبي ﷺ[٣]:

١. خديجة بنت خويلد عليها السلام: كانت أوّل امرأة اختارها رسول الله ﷺ زوجةً له. لقد تزوّج النبي بخديجة قبل البعثة بخمسة عشر عاماً، وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين عاماً، وكانت خديجة أرملة في الأربعين من عمرها على الرأي المشهور والصحيح؛ فقد تزوجّت خديجة قبل ذلك مرّتين: أوّلاً من عتيق بن عائذ بن عبد الله بن مخزوم، ثمّ من أبي هالة بن زرارة التميمي. وقد عاش النبي ﷺ مع خديجة إلى السنة العاشرة من البعثة، أي خمساً وعشرين سنة، ولم يتزوّج غيرها ما دامت على قيد الحياة، وقد توفّيت خديجة

---

١. لمعرفة عدد أزواج النبي، بالإضافة إلى مصادر وردت في ذكر تراجمهن، انظر. *تاريخ اليعقوبي*، ٢/٨٤ـ٨٥؛ *زوجات النبي وأولاده*، ١٩ـ٤٦؛ *زوجات النبي*، ١٧.

٢. *بحار الأنوار*، ٢٢/١٩١؛ *وسائل الشيعة*، ٢٠/٢٤٤ـ٢٤٥. ولمعرفة أسماء نساء عقد عليهن النبي ولم يدخل بهن، انظر: *الطبقات الكبرى*، ٨/١٤١ـ١٥٠.

٣. لدارسة تاريخ زوجات النبي وما يتعلق بهن تفصيلا، فبالإضافة إلى المصادر الأصلية التي ذكرناها في تراجمهن، انظر: *موسوعة أمهات المؤمنين*، ٧٣ـ١٩٥؛ *زوجات النبي وأولاده* ٤٨ـ ٣١٦؛ *نساء حول الرسول*، ٢٤ـ١٤٨؛ *زوجات النبي وحكمة تعددهن*، ٤٢ـ٦٢؛ *نساء حول النبي*، ٣٥ـ١٨٠؛ *زوجات النبي وآل البيت*، ١١٧ـ٢٥٥.

في السنة العاشرة من البعثة عن عمر يناهز خمسة وستين، وكان النبي حينئذٍ في الخمسين من عمره تقريبًا[١].

٢. **سودة بنت زمعة**: كانت هي وزوجها الأوّل سكران بن عمرو من أوائل المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة هرباً من ظلم مشركي مكّة، لكنّهما بعد فترة عادا إلى مكّة حيث توفي زوجها سكران بن عمرو، فأصبحت سودة العجوز وحيدةً بحيث إن عادت إلى أهلها ضايقوها وأجبروها على الارتداد عن الإسلام؛ ولذلك تكفّل بها النبي ﷺ وتزوّج بها إكراماً لها وكأنّه كافأها على صدقها في الإيمان، وكانت سودة أوّل امرأة تزوجّها النبي بعد خديجة، وعاش معها في مكة ثلاث سنوات دون زوجةٍ أخرى. وكانت سودة كبيرة العمر لدرجة أنّها بعد الهجرة إلى المدينة وزواج النبي من عائشة قد وهبت لها ليلتها، واكتفت بأن تكون تحت عصمة النبي ﷺ وفي عداد زوجاته، وقد توفّيت في أواخر خلافة عمر[٢].

٣. **عائشة بنت أبي بكر**: كانت عائشة بنت ست أو سبع سنوات لما خطبها أبوها للنبي بناءً على القول المشهور، فعقد عليها رسول الله ﷺ بمكّة بعد سودة وهي بنت ست أو سبع سنين، ودخل بها بالمدينة وكان عمرها حينئذ تسع سنين، وهي البكر الوحيدة التي تزوجّها رسول الله ﷺ وكان عمره حينئذ حوالي ٥٥ سنة. توفّيت عائشة عام ٥٧ أو ٥٨ بعد الهجرة[٣].

١. لمطالعة ترجمتها انظر. *أنساب الأشراف*، ٢/٢٣ـ٣٦؛ *السيرة النبوية*، ١/١٩٨ـ٢٠٤، ٢/٥٧، ٤/٢٩٣؛ *أسد الغابة*، ٦/٧٨ـ٨٥؛ *الطبقات الكبرى* ١/١٣١ـ١٣٣ و ٨/٥٢؛ *الإصابة في تمييز الصحابة*، كتاب النساء، ٨/٩٩ـ١١٠٩٢؛ *بحار الأنوار*، ١٦/١ـ٨١، خاصة ص٢٢؛ *مروج الذهب*، ٣/٢٧؛ *تاريخ اليعقوبي* ٢/٢٠، ٣٥، ٨٤.

٢. لمطالعة ترجمتها انظر. *أنساب الأشراف* ٢/٣٦ـ٣٨؛ الإصابة في تمييز الصحابة ١٩٦ـ١٩٧، ش١١٣٦٣؛ *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ١٥٧؛ *السيرة النبويّة* ٤/٢٩٣؛ *الطبقات الكبرى* ٨/٤٢ـ٤٦.

٣. لمطالعة ترجمتها انظر. *أنساب الأشراف* ٣٨ـ٥٣؛ *الطبقات الكبرى* ٤٦ـ٦٥، ر٤١٢٨؛ *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ١٨٨ـ١٩٢، ر٧٠٨٥؛ *السيرة النبويّة* ٢٩٣؛ *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ٣/٢٧؛ *الإصابة في تمييز الصحابة* ٢٣١ـ٢٣٥.

٤. **حفصة بنت عمر**: كانت حفصة بنت الخليفة الثاني أرملة تزوجّها الرسول ﷺ في السنة الثالثة للهجرة، وقد استشهد زوجها الأول خُنيس بن حذافة السهمي في غزوة بدر إثر جرحٍ أصابها في القتال، ولما انقضت عدّتها عرضها أبوها على أبي بكر، ولأنّ حفصة لم تكن جميلة الوجه، صمت أبوبكر عنه ولم يرض أن يتزوّجها، ثمّ لما ماتت زوجة عثمان رقيّة ربيبة النبي، عرض عليه عمر حفصة. فقال عثمان: «بدا لي ألّا أتزوّج يومي هذا». فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فقال:

تتزوّج حفصة مَن هو خير من عثمان، ويتزوّج عثمان مَن هو خير من حفصة.

ثمّ خطبها النبي وزوّجه عمر إيّاها، كما زوّج النبي ﷺ عثمان ربيبته أم كلثوم.توفّيت حفصة عام ٤١ أو ٤٥ بعد الهجرة[١].

٥. **زينب بنت خزيمة بن الحارث (أم المساكين)**: كانت أرملة تزوّجها رسول الله ﷺ بعدما استشهد زوجها الأوّل عبد الله بن جحش الأسدي في غزوة أحد. تزوّج بها النبي ﷺ بعد حفصة بفترة وقد توفّيت بعد ذلك بشهرين أو ثلاثة[٢].

٦. **أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان**: كانت رملة بنت أبي سفيان زعيم قريش بمكّة؛ وقد أسلمت قديمًا وهاجرت هي وزوجها عبيد الله بن جحش، الذي تنصّر في الحبشة ومات هناك نصرانيّاً، لكن أم حبيبة ثبتت على إسلامها. وقد انقطعت عن أهلها بالهجرة إلى الحبشة، وأصبحت مضطرّة تماماً عندما ارتدّ زوجها؛ فلمّا بلغ ذلك رسول الله ﷺ بعث رسولاً إلى النجاشي ليخطبها؛ فزوّجها النجاشي النبيّ وأمهرها عنه أربعة آلاف درهم وبعث بها إلى النبي ﷺ. وفي السنة الثامنة للهجرة -بعد أن نقضت قريش

١. لمطالعة ترجمتها انظر. *أنساب الأشراف* ٥٤ـ٦١؛ *الطبقات الكبرى* ٦٥ـ٦٩، ر٤١٢٩؛ *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ٦٥ـ٦٧، ر٦٨٤٥؛ *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ٣/٢٨؛ *السيرة النبويّة* ٢٩٤؛ *الإصابة في تمييز الصحابة* ٨٥ـ٨٧، ش١١٠٥٣.

٢. لمطالعة ترجمتها انظر. *أنساب الأشراف* ٢/٦٢؛ *الطبقات الكبرى* ٨/١١٥؛ *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ٦/١٢٩؛ *الإصابة في تمييز الصحابة* ٨/١٥٧؛ *تاريخ اليعقوبي* ٢/٨٤؛ *السيرة النبويّة* ٤/٢٩٦؛ *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ٣/٢٨.

صلح الحديبيّة- قدم أبو سفيان المدينة لتجديد الهدنة ودخل بيت ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه فقالت: «بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجسٌ مشركٌ». توفّيت أم حبيبة عام ٤٤ بعد الهجرة[١].

٧. **أم سلمة:** هي هند بنت حذيفة بن مغيرة المخزومي زوجة أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي. وكانت أم سلمة وزوجها من السابقين في الإسلام، وقد هاجرا في الهجرة الأولى إلى الحبشة. ثمّ عادا إلى مكّة بعد أن بلغ المسلمين في الحبشة خبر إسلام أهل مكة كذباً، فلم يجرؤ منهم أحدٌ أن يدخل مكّة إلّا مستجيراً أو مستخفياً، فدخلت أم سلمة وزوجها في جوار أبي طالب حتّى وفاته، ثمّ هاجرا إلى المدينة متحملين في ذلك متاعب كثيرة. توفّي أبو سلمة بعد منصرفه من أُحد وقد انتقض به جرح كان أصابه بأحد، فمات منه. وبعدما انقضت عدّتها، خطبها أبوبكر وعمر فردّتهما، ثمّ بعد ذلك بعث النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة ليخطبها عليه، فقالت أم سلمة: «مرحباً! أخبر رسول الله أنّي كبيرة السن وأني غَيرَى (شديدة الغيرة) وأني مُصبِية». فبعث إليها:

> **أمّا قولكِ: إنّي كبيرة السن، فأنا أكبر منكِ سنّاً، وأمّا قولكِ مُصْبِية، فإنَّ الله سيكفيكِ صبيانكِ، وأمّا قولكِ: إني غَيرَى، فسأدعو الله أن يذهبها.**

وهكذا تزوّجت النبي وهي امرأة عجوز[٢] لها عدّة أيتام، وكانت من أفضل نساء النبي ومن ثقات المحدثين، وآخر من مات من أمّهات المؤمنين، إذ توفيت عام ٦٢ أو ٦٤ بعد الهجرة[٣].

---

١. لمطالعة ترجمتها انظر: *أنساب الأشراف* ٢/٧٢ـ٧٦؛ *الطبقات الكبرى* ٨/٩٦ـ١٠٠؛ تاريخ اليعقوبي، ٢/٨٤؛ *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ٣/٢٩؛ *الإصابة في تمييز الصحابة* ٨/١٤٠ـ١٤٢، ر١١١٩١؛ *السيرة النبويّة* ٤/٢٩٤؛ *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ٦/١١٥ـ١١٧.

٢. اختلفت الروايات في عمر أم سلمة عندما تزوجت بالنبي؛ فجاء في بعضها أنها لم تكن كبيرة السن بل كان عمرها نحو ٢٢ سنة، إلا أن ما نقلناه عنها ينفي هذا القول، ويبين أنها كانت كبيرة لكن النبي كان أكبر منها سنًا.

٣. لمطالعة ترجمتها انظر: *أنساب الأشراف* ٢/٦٢ـ٦٦؛ *الطبقات الكبرى* ٨/٨٦ـ٩٦؛ *السيرة النبويّة* ٤/٢٩٤؛ *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ٣/٢٨؛ *الإصابة في تمييز الصحابة* ٨ /٣٤٢ـ٣٤٤، ر١١٨٤٩؛ *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ٦/٣٤٤، ر٧٤٦٧.

٨. **زينب بنت جحش**: هي من قبيلة قريش ومن نسب شريف. فكانت بنت عمّة النبي ﷺ وأمّها أميمة بنت عبد المطلب. وكانت زوجة زيد بن حارثة، العبد الذي تبنّاه رسول الله ﷺ، فسمّي «زيد بن محمد». وكان العرب يعتقدون أنّ آثار التبنّي نفس آثار البنوّة الحقيقيّة، لكنّ الإسلام رفض هذه السنة الجاهليّة، فكانت مشيئة الله أن يطلّق زيد امرأته ويتزوّج بها النبي ﷺ لنفي هذا المفهوم الخاطئ.

والجدير بالذكر أنّ زينب لانتسابها إلى قبيلة محترمة لم تكن ترغب في الزواج من زيدٍ لكونه عبدًا، وكانت تتوقّع أن يتزوجّها النبي ﷺ، وعندما خطبها النبي لزيدٍ لم تقبل؛ فنزلت هذه الآية: ﴿**وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً**﴾، فقبلت زينب أمر النبي ﷺ وتزوّجت زيداً وعاشت معه لفترة، ثمّ حدث بينهما خلاف واضطر زيد إلى طلاق زينب. فأمر الله نبيّه بالزواج من زينب لإبطال عادة «تحريم الزواج بأزواج الأدعياء»، ولم يكن النبي ﷺ راغباً في هذا الزواج خشية أن يقول المنافقون إنّ النبي تزوج بزوجة دعيّه، فنزلت الآية تعاتبه على التأخير، بقوله: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً**﴾[١].

فتزوج رسول الله ﷺ بزينب بعد نزول هذه الآية، وكانت زينب تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: «زوّجكنَّ أهليكنَّ وزوجني الله من فوق سبع سماوات»، فما عاشت زينب طويلاً وكانت أول أزواج النبي لحاقًا به بعد وفاته[٢].

---

١. الأحزاب، ٣٧.

٢. لمطالعة ترجمتها انظر: *أنساب الأشراف* ٢/٦٧ـ٧٢؛ *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ٦/١٢٥؛ *الإصابة في تمييز الصحابة* ٨/١٥٣ـ١٥٥؛ *السيرة النبويّة* ٤/٢٩٤؛ *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ٣/٢٩؛ *بحار الأنوار* ٢٢/١٧٧ـ١٧٨؛ *الطبقات الكبرى* ٨/١٠١ـ١١٥.

٩. **جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار**: هي من قبيلة بني مصطلق، إحدى قبائل اليهود الساكنة في المدينة، وكان أبوها الحارث بن أبي ضرار شيخ القبيلة، وقد جهّز مع أفراد قبيلته وقبائل أخرى جيشًا كاملاً لمحاربة المسلمين، فعلم به رسول الله ﷺ وقبل اجتماع جيشهم أعدّ جيشاً نحوهم، فباغوهم في عقر ديارهم قبل خروجهم وأسروا كثيراً من رجالهم ونسائهم وأطفالهم واستولوا على أموالهم، وكانت جويرية بنت الحارث بين الأسارى، فوقعت في سهم أحد المسلمين، عندها اتّفقت معه على مبلغ من المال تدفعه له مقابل عتقها، وكاتبت على نفسها فجاءت تسأل رسول الله في كتابتها، فقالت: «يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وإنّما كان من أمري ما لا يخفى عليك، وإنّي وقعت في سهم ثابت بن قيس، وأنّي كاتبت على نفسي، فجئتك أسألك في كتابتي». وكان رسول الله ﷺ يكافح دوماً من أجل تحرير الأسرى والقضاء على العبوديّة تدريجيّاً، فعرض على جويرية عرضاً أدّى إلى تحرّر جميع أسرى بني المصطلق؛ إذ قال لها: «**فهل لكِ إلى ما هو خير منه؟**» قالت: «وما هو يا رسول الله؟» قال: «**أؤدي عنكِ وأتزوجكِ**» قالت: «قد فعلتَ!». قالت عائشة: «فتسامع الناس أنّ رسول الله قد تزوج جويرية، فأرسلوا ما في أيديهم من السبي فأعتقوهم، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ! فما رأينا امرأة أعظم بركة على قومها منها؛ أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق»[1] [توفّيت جويرية في المدينة سنة ست وخمسين على الأرجح].

١٠. **صفيّة بنت حُيي بن أخطب**: كان أبوها شيخ قبيلة بني نضير، الذي انضمّ إلى يهود

١. لمطالعة ترجمتها انظر: *أنساب الأشراف* ٧٦/٢ـ٧٨؛ *الطبقات الكبرى* ١١٦/٨ـ١٢٠؛ *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ٥٦/٦ـ٥٨؛ *الإصابة في تمييز الصحابة* ٤٨/٨؛ *السيرة النبويّة* ٢٩٥/٤؛ *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ٢٩/٣. وهناك رواية أخرى عن كيفية زواجها بالنبي، وهي أنه بعد سبي جويرية، جاء أبوها إلى النبي وطلب منه إخلاء سبيلها. فقال النبي: «أرأيت إن خيّرناها أليس قد أحسنّا؟» قال: بلى... فأتاها أبوها فقال: إن هذا الرجل قد خيرك فلا تفضحينا، فقالت: فإني قد اخترت رسول الله. قال: قد والله فضحتنا. ومهما كان من أمر، فإن زواجها كان سببا في عتق بني قبيلتها.

خيبر مع أهله بعد هزيمة بني نضير من المسلمين، تزوّجت صفية أوّلاً من سلام بن مشكم اليهودي؛ لكنّها تطلّقت منه وتزوجت بكنانة بن أبي الحقيق، وقد قُتل أبوها وزوجها وأخوها في معركة خيبر، ووقعت صفية في أسر المسلمين أثناء غزوة خيبر، فقال لها رسول الله ﷺ:

اختاري، فإن اخترتِ الإسلام أمستكتكِ لنفسي، وإن اخترتِ اليهودية فعسى أن أعتقكِ فتلحقي بقومكِ.

فقالت: «يا رسول الله: لقد هويتُ الإسلام وصدقتُ بكَ قبل أن تدعوني»؛ ولذلك أعتقها النبي ﷺ وتزوّجها وجعل عتقها مهراً لها، وكانت عندئذٍ لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها، وقد توفّيت صفيّة سنة ٥٠ الهجريّة[١].

١١. **أم شريك غزيلة أو عزيلة بنت دودان جابر بن حكيم**: كانت من قبيلة بني أسد وقد وهبت نفسها لرسول الله ﷺ بدون مهر، ولم يذكر سنة زواجها، لكن بما أن عائشة وحفصة احتجّتا أثناء زواجها، فمن الواضح أنّه كان بعد زواج النبي ﷺ بهما[٢].

١٢. **ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالي**: كانت آخر امرأة أرملة تزوجها النبي ﷺ، وكانت قبل زواجها برسول الله ﷺ زوجة مسعود بن عمرو الثقفي، ففارقها، ثمّ زوجها بأبو رهم بن عبد العزى، وكانت معه حتّى توفي، فتزوجها النبي ﷺ احتراماً لقبيلتها التي ساندته، وكانت امرأة صالحة فاضلة تزوّجها رسول الله ﷺ في السنة

١. لمطالعة ترجمتها انظر: *الطبقات الكبرى* ١٢٠/٨ـ١٢٩؛ *السيرة النبويّة* ٢٩٦/٤؛ *أنساب الأشراف* ٧٨/٢ـ٨٠؛ *الإصابة في تمييز الصحابة* ٢١٠/٨ـ٢١٢؛ *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ١٦٩/٦ـ١٧١؛ *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ٢٩/٣؛ بحار الأنوار ١٩١/٢٢ـ١٩٧.

٢. لمطالعة ترجمتها انظر: *الطبقات الكبرى* ١٥٤/٨ـ١٥٨؛ *السيرة النبويّة* ٢٩٦/٤؛ *أنساب الأشراف* ٥٣/٢ـ٥٤؛ *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ٢١١/٦؛ *الإصابة في تمييز الصحابة* ٤١٧/٨ـ٤٢٠. هناك اختلاف في المصادر حول اسمها؛ فقيل هي عزيلة، وقيل غزيلة، أو غزية، وقيل خولة وغيرها. ولمعرفة أسماء النساء اللواتي وهبن أنفسهن للنبي دون مهر. انظر: *الطبقات الكبرى* ١٥٠/٨ فما بعد.

السابعة الهجريّة خلال عمرة القضاء، وقد توفيت سنة ٥١ أثناء العودة من الحج[١].

١٣. **مارية القبطيّة بنت شمعون**: كانت أمَة أهداها المقوقس ملك القبط لرسول الله ﷺ، وكانت بعد خديجة، زوجته الوحيدة التي ولدت له ولداً سمي إبراهيم، لكنّه مات وهو صغير، توفّيت مارية في عهد خلافة عمر ودفنت في البقيع[٢].

٤) تحليل فرضيّات تعدّد زوجات النبي وحكمته

والآن، بعد مقدّمة مختصرة عن تراجم زوجات الرسول ﷺ، حان الوقت للبحث في أسباب هذا الزواج للكشف عن مدى صحّة الفرضيّات التي طرحناها في بداية البحث.

الفرضيّة الأولى، والتي أثيرت من قبل أعداء النبي ﷺ بنوايا خبيثة، هي أنّ النبي اختار زوجات متعدّدة لتلبية رغباته الجنسيّة. لكن حسب ما عرفنا عن زوجات النبي وكيفيّة زواجه بهنّ، فإنّ هذه الفرضيّة باطلة؛ لأنّنا علمنا أنّ النبي ﷺ قد تزوج وهو في الخامسة والعشرين من أرملة تكبره بخمسة عشر عاماً، وعاش معها خمساً وعشرين عاماً، وخلال هذه المدّة لم يختر زوجة أخرى، بعبارة أخرى، لم يتزوّج النبي ﷺ قبل سن الخامسة والعشرين ألبتة. ثمّ إنه تزوج أرملة أكبر منه ولم يكن له أكثر من زوجة حتّى سن الخمسين، وتلك الفترة بطبيعة الحال هي ذروة الإثارة الجنسيّة لدى الرجال؛ فلم يكن لديه زوجة ولم يقم علاقة مع أي امرأة خلال فترة ما يقارب عشر سنوات (من السن ١٥ إلى ٢٥)، حيث تزداد بشكل طبيعي الرغبة في الجنس الآخر. فمن الواضح أنه لو كان النبي ﷺ رجلاً شهوانيّاً لما بقي عازباً حتّى الخامسة والعشرين من عمره، ولما اكتفى بأرملة أكبر منه قد تزوجت مرّتين من قبل.

---

١. لمطالعة ترجمتها انظر: *أنساب الأشراف* ٢/٨٠ـ٨٥؛ *الطبقات الكبرى* ٨/١٣٢ـ١٤٠؛ تاريخ اليعقوبي ٢/٨٤؛ *السيرة النبويّة* ٤/٢٩٦؛ *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ٣/٢٩؛ *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ٦/٢٧٢؛ *الإصابة في تمييز الصحابة* ٨/٣٢٢ـ٣٢٧؛ بحار الأنوار ٢٢/١٩٤.

٢. لمطالعة ترجمتها انظر: *أنساب الأشراف* ٢/٨٥ـ٩٠؛ تاريخ اليعقوبي ٢/٨٥؛ *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ٣/٢٩؛ *الطبقات الكبرى* ٨/٢١٢ـ٢١٦؛ *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ٦/٢٦١؛ *الإصابة في تمييز الصحابة* ٨/٣١٠ـ٣١١.

ثمّ بعد وفاة خديجة، تزوّج النبي من سودة وهي أرملة عجوز، وعاش معها ثلاث سنوات في مكّة، وخلال هذه السنوات الثلاث لم يتّخذ زوجة أخرى كذلك، ولم يتزوّج بأزواج متعدّدة إلّا بعد أن دخل الشيخوخة. وإذا لاحظنا أعمار أزواجه لوجدنا أنّه ما عدا فتاة بكر واحدة، كلهنّ أرامل وأيامى، وأغلبهنّ عجائز أو إماء، بينما لو كان النبي ﷺ يريد إشباع شهوته واستغلال منصبه، لكان في متناول يده العديد من الفتيات الجميلات والنساء الثريات اللواتي يرغبن في الزواج منه. ومن هنا يتبيّن أنّ زواج النبي من عدة نساء لم يكن لتلبية الشهوة واستغلال السلطة، هذا ومع أنّ الشباب في ذاك العصر كانوا يتزوّجون في سنّ مبكّرة حسب ثقافة الحجاز. وثانياً، كان تعدّد الزوجات أمراً شائعاً آنذاك، فكان بإمكان النبي أن يتزوج الأبكار بدلاً من خديجة أو يجمع بين عدة زوجات.

وببطلان الفرضيّة الأولى تبطل الفرضيّة الثانية أيضاً، وهي أنّ الرجال والشخصيّات المعنويّة الكبار كما كانت أرواحهم قويّة، فكذلك أجسادهم ورغباتهم الجسديّة، فلا تكفي امرأة أو امرأتان لتلبية حاجاتهم الجنسيّة، وأنه لما كان النبيّ في قمّة الروحانيّة، كان لديه رغبات جنسيّة قويّة جدّاً ووجب له أن يتزوّج من زوجاتٍ متعدّدةٍ.

سبب بطلان هذه الفرضيّة هو، أوّلاً، أنّ النبي ﷺ لم يكن له زوجة حتّى الخامسة والعشرين من عمره، وقضى الخمس والعشرين سنة التالية مع أرملة وثلاث سنواتٍ أخرى مع أرملة أخرى، وهذه الفترة هي ذروة إثارة الغريزة الجنسيّة، ولو كانت هذه الفرضيّة صحيحة، لوجب أن يتزوّج النبي ﷺ عدّة زوجاتٍ في عهد شبابه لا شيخوخته. فهذه الدعوى، كالفرضيّة الأولى، تتعارض مع تاريخ حياة النبي ﷺ.

ثانياً، إنّ صغرى القضية بأنّ القوّة الروحيّة تتطلّب القوّة البدنيّة مرفوضة أيضاً؛ لأنّ الجسد والروح متقابلان، وكما قال بعض علماء الأخلاق: كلّما قوي البدن ضعفت الروح، وكلّما اعتنى الإنسان بحاجاته الروحيّة وأشبعها ضعفت حاجاته الجسديّة

والبدنيّة[١]. فبطلت الفرضية الثانية، ولم يبق إلّا الفرضيّة الثالثة وهي أنّ تعدد زوجات النبي ﷺ كان لأسبابٍ وعوامل سياسيّةٍ واجتماعيّةٍ وعاطفيّةٍ وفقهيّةٍ وتربويّةٍ.

وفي شرح هذه الفرضية وإثباتها ينبغي أن نشير إلى أن زواج النبي ﷺ بأكثر من امرأة لم يكن نتيجة سببٍ واحدٍ، بل كان لكلّ زواجٍ سبب خاصّ. فقبل أن نتناول بالتفصيل سبب أو أسباب كلّ زواج، لا بدّ من الانتباه إلى نقطتين:

أوّلاً، أنّ النبيّ محمّد ﷺ هو رسول الله ورمز الأخلاق الحميدة. وبشهادة التاريخ، فقد تخلَّق بأخلاقٍ حسنةٍ وتنزَّه عن كلّ أنواع الرذائل، سواء قبل البعثة أم بعدها. **ثانياً**، كانت بعض زيجاته – في الأقل- بأمرٍ إلهيّ. كما أنّ القرآن الكريم يشير إلى زواجه من زينب بنت جحش بصراحة[٢]، إضافة إلى أنه معصوم حسب اعتقاد المسلمين، فلا يشاء إلّا أن يشاء الله ولا يتصرّف عن الهوى.

ومع ملاحظة هاتين النقطتين، سنتناول الآن أسباب تعدّد زوجات النبي ﷺ بالتفصيل:

١. **الزواج من خديجة**: يمكن القول إنّه كان زواجاً تقليديّاً وطبيعيّاً تماماً؛ وهذا يعني أنّ النبي ﷺ كإنسان يحتاج إلى الزواج وتكوين أسرة، وينبغي له أن يتزوّج. وقد رسم النبي بذلك نموذجاً أخلاقيّاً؛ وهذا النموذج الأخلاقي له سماته؛ منها: أنّه لا بدّ من ملاحظة أصالة النسب والحسب وحُسن الخلق في اختيار الزوجة؛ فإذا اتّصفت المرأة بالنجابة وحسن الخلق والوفاء، فلا يجوز رفضها لقلّة الجمال وكبر السن ونحو ذلك، ومع أنّ خديجة كانت أرملة وأكبر من النبي ﷺ، إلّا أنّ صفاتها الأخلاقيّة دفعته إلى الزواج منها. والسمة الثانية هي أنّ النبي ﷺ من خلال العيش لمدّة خمس وعشرين سنة مع خديجة، عرض مثالاً لعامّة الناس وهو أنّ زوجة واحدة تكفي في الحياة العامّة للرجل، فلا يحسن للمرء أن يستسلم لرغباته الجنسيّة ويبحث عن زوجاتٍ جديدةٍ أخرى بحجّة كبر سن زوجته وما شابه ذلك.

١. انظر: معارف قرآن: خداشناسي، ٣٠٨.
٢. الأحزاب، ٣٧.

٢. **الزواج من سودة بنت زمعة**: كما لوحظ أنّ سودة كانت أيّمًا عجوزاً قد فقدت زوجها وكانت في وضع حرجٍ، فتزوّجها النبي ﷺ لكي يخفّف عنها ويواسيها؛ فكان سبب زواج النبي بها أمراً عاطفيّاً أخلاقيّاً.

٣. **الزواج من عائشة بنت أبي بكر**: لقد أثير الكثير من الجدل حول زواج النبي من عائشة التي كانت البكر الوحيدة بين أزواجه، فتزوّجها وهي في سنّ الصبا. وقد ذكرت عدّة أسبابٍ لهذا الزواج، أهمّها المصلحة السياسيّة؛ فقيل إنّ أبا بكر كان من شيوخ قبيلته، يمتلك مكانةً مرموقة بين أصحاب النبي، فأراد رسول الله ﷺ استغلال هذه الفرصة في سبيل تعزيز الإسلام[١].

4 و ٥ و ٦. الزواج من حفصة بنت عمر وزينب بنت خزيمة وأم سلمة: كما سبق ولاحظنا في تراجم أزواج النبيّ ﷺ، فإنّ سبب زواج النبيّ بهؤلاء النسوة الثلاث كان عاطفيّاً وتربويّاً وثقافيّاً وأخلاقيًا؛ إذ استشهد أزواجهنّ الأوائل في الحروب دفاعاً عن الإسلام، وأصبحن أرامل، فزوّجهنّ النبي ﷺ ورعى أيتامهنّ من أجل مواساتهنّ وإكرامهنّ واحترام منزلة الشهداء.

٧. **الزواج من أم حبيبة بنت أبي سفيان**: كان هناك سببان للزواج منها: أحدهما عاطفيّ وأخلاقي، والآخر سياسي؛ فأمّا السبب العاطفيّ فهو لأنّها أسلمت وتحمّلت مشقّة الهجرة إلى الحبشة وانقطعت عن أهلها وأقاربها في سبيل الله والإسلام، ثمّ تنصّر زوجها ومات نصرانيّاً، لكنّها ظلّت ثابتة على الإسلام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كانت أرملة محتاجة، فتزوجّها النبي ﷺ ليعيلها.

وأمّا السبب السياسي فلأنّها كانت ابنة أبي سفيان زعيم كفّار مكّة وأشدّ أعداء النبي، فلعلّ الزواج من ابنته المسلمة كان يشجعه على الإسلام، ويلين قلوب المشركين نحو الإسلام والمسلمين.

٨ و ٩. الزواج من زينب بنت جحش وأم شريك: كما ذكرنا فإنّ سبب زواج

١. *الصحيح من سيرة النبي الأعظم*، ٣٦/٢؛ الطبقات الكبرى ٤٦/٨.

النبي ﷺ بهما كان حكماً فقهيّاً؛ فتزوجّها النبي بأمر صريح من الله؛ لأنّ زيداً وهو متبنّى رسول الله قد طلّقها، وكانت حسب العادة الجاهليّة تعتبر زوجة ابن النبي ومحرّمة عليه. فرفضت الشريعة الإسلاميّة هذه السنّة، وقد أمر الله نبيّه أن يتزوجّها ليكسر بذلك هذه البدعة. فنزلت الآية: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾[١].

وأمّا أمّ شريك فهي وهبت نفسها للنبي بدون مهر، وكان هذا حكماً فقهيّاً خاصّاً بالنبي ﷺ، إذ كان من خصائص رسول الله أنّ المرأة إذا وهبت نفسها له أمكنه أن يتزوّجها بدون صداق، والزواج من أمّ شريك كان مثالاً لهذا الحكم الفقهي حيث قال تعالى: ﴿**وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢].

١٠ و ١١. الزواج من جُويرية بنت الحارث وصفية بنت حُيي: كان الزواج بهما لأسبابٍ سياسيّةٍ وثقافيّةٍ ولأجل مصالح الإسلام؛ إذ كانتا ابنتي زعيمي قبيلتين يهوديّتين، فلربّما كان زواجهما يؤدّي إلى رغبة اليهود في الإسلام والتعايش السلمي بين المسلمين واليهود. كما نرى في تاريخ البشريّة هناك حالاتٌ كثيرةٌ تتزاوج فيها عائلات شيوخ القبائل ورؤساء الدول والأمم الزواج من أجل توطيد العلاقات وتحسين ظروف العيش[٣]، فضلاً عن أنّ الزواج من جويريّة قد أدّى إلى الإفراج عن أسرى قومها، الأمر الذي توقّعه النبي ﷺ كنتيجة إنسانيّة وثقافيّة من وراء هذا الزواج.

١٢. الزواج من ميمونة بنت الحارث: كان لهذا الزواج أيضاً صبغة سياسيّة وعاطفيّة

١. الأحزاب، ٣٧.

٢. الأحزاب، ٥٠.

٣. لمعرفة بعض المصاديق والنماذج في الحكومات والعهود المختلفة انظر: «كاركرد ازدواجهای سياسی در تنظيم روابط حكومتهای متقارن از قرن ٤ـ٧ ق»، «ازدواجهای سياسی: از آمدن تيموريان تا ظهور صفويان».

ولم يكن له أي علاقة بالرغبات الجنسيّة، إذ كانت ميمونة أرملة تزوجها النبي ﷺ لنصرة قبيلتها للإسلام والمسلمين.

١٣. الزواج من مارية القبطيّة: كان سبب الزواج منها أيضًا سياسياً وأخلاقيًا؛ أولاً، كانت مارية جارية أهداها ملك الأقباط للنبي ﷺ، وكان قبولها لمصلحة الإسلام. ثانياً: قبول هذا الزواج قد غرس قيمةً أخلاقيّة في المجتمع الإسلامي، بأنّ النبي بكل عظمته وعلوّ شأنه، ومع رغبة النساء الحرائر والنجباء في الزواج منه، يتزوج بجارية.

٥) تحليل الشبهة ونقدها على ضوء الفرضية المختارة

لقد ثبت أنّ زواج النبي الخاتم ﷺ من أولئك النسوة لم يكن اتباعاً للهوى والهوس، بل على أساس المصالح الأساسيّة للإسلام والمجتمع الإسلامي. وهذا يدحض شبهة نسبة الشهوانيّة لرسول الله ﷺ إلى حدٍّ ما، لكن يبدو أنّ هناك تساؤلات كثيرة حول المسألة، ويحتاج نقدها إلى مزيد من البحث والتحليل؛ فمن الإشكالات على هذه الدعوى هي: تعارضها مع سنن الأنبياء السابقين، وتعميم القيم الزمكانيّة المحدّدة على كلّ زمانٍ ومكانٍ، وتعارضها مع تاريخ الجزيرة العربيّة وقيم عصر النبي، وتجاهل ظروف مجتمعٍ محدّدٍ وأوضاعه وأحواله ومتطلّباته الخاصّة، والتغافل عن حكمة تعدّد زوجات النبي، وتجاهل خصائصه وأحكامه الخاصّة، وهو ما سنتحدث عنه فيما يلي:

٥-١) تعارض هذه الدعوى مع سنن الأنبياء السلف

من أهمّ ما يرد عليه أنّ هذه الدعوى تتّهم النبي الخاتم ﷺ -الذي هو أسوة في الأخلاق والزهد- باتّباع الشهوات واستغلال مقام النبوّة للإكثار من عدد الزوجات، بينما أنّ تعدّد الزوجات كان من سنّة الأنبياء السلف، ولم يكن رسول الله ﷺ وحده هو الذي تزوّج بزوجاتٍ متعدّدة؛ وفيما يلي بعض الشواهد على المدّعى:

من المسائل المهمّة المتعلّقة بأنبياء الله أنّ تعدّد الزوجات كان شائعاً بينهم، ومع أنّ

القرآن الكريم لم يتحدّث بالتفصيل عن زوجات الأنبياء السلف، لكنّه صرّح بأنّ الأنبياء قبل النبي الخاتم ﷺ كان لهم أزواج وأبناء[١]، فقد ذكر القرآن امرأة نوح[٢]، وامرأة إبراهيم[٣]، وامرأة لوط[٤]، وامرأة زكريّا[٥]، من بين أزواج الأنبياء فحسب، لكن استناداً إلى الكتاب المقدّس والأعراف اليهوديّة والمسيحيّة والإسلاميّة، كانت للنبي إبراهيم عليه السلام زوجتان هما أشهر من سائر زوجاته: سارة وهاجر، والأخيرة هي أم ابنه الأكبر: النبي إسماعيل عليه السلام، والأولى أم ابنه الأصغر: النبي إسحاق عليه السلام[٦]. ولكن كما ورد في الكتاب المقدس، لم تكن هاتان المرأتان الزوجتين الوحيدتين للنبي إبراهيم عليه السلام، بل كان له زوجات أخر وجوارٍ ولدن له أبناء، وكان من بينهنّ سيدة تدّعى قطورة والتي ولدت له أبناء[٧]. تذكر المصادر الإسلاميّة اسم هذه المرأة بأنها قنطورة بنت يقطان (أو يقطن)[٨]، وهي من أصول عربيّة ولدت لإبراهيم ستّة أولاد[٩]؛ كما كانت له زوجة أخرى اسمها حجور (أو حجون) بنت أرهير، وهي أيضاً عربيّة كنعانيّة كقنطورة، وقد ولدت له خمسة أولاد[١٠]؛ وقد ورد اسماهما وأسماء أبنائهما في تراث بني إسرائيل والكتاب المقدس اليهودي المسيحي، دون التطرّق إلى قصّتهما لأجل تقديم جدّهم إسحاق كالوريث الوحيد لإبراهيم[١١].

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١. الرعد، ٣٨.
٢. التحريم، ١٠.
٣. هود، ٧١؛ ذاريات، ٢٩.
٤. التحريم، ١٠.
٥. آل عمران، ٤٠؛ مريم، ٥ و ٨.
٦. سفر التكوين ١٦: ١ـ٨ و ١٨: ٦ـ١٥؛ *الطبقات الكبرى*، ١/٣٩ـ٤٠.
٧. سفر التكوين ٢٥: ١ـ٦؛ أول تواريخ ١: ٣٢.
٨. جدير بالذكر أن اسم أبيها في بعض المصادر مقطور أو مقيطر (الطبقات الكبرى ١/٤٠؛ *المحبر* ٣٧٧).
٩. *تاريخ الأمم والملوك*، ١/٣٠٩ و ٣١١؛ *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، ١/ ٢٨٥.
١٠. الطبقات الكبرى ٤١؛ *تاريخ الأمم والملوك* ٣١١؛ *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، المصدر نفسه؛ *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ١/٤٤٩.
١١. *تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام*، ١٠ـ١١.

وعليه، فقد كان لإبراهيم عليه السلام أربع زوجات، وهنّ غير الإماء المذكورات في الكتاب المقدّس[١]. فإذا افترضنا أنّ الحدّ الأدنى للفظ الجمع هو ثلاث، وكان لإبراهيم ثلاث جوارٍ إلى جانب سارة وهاجر وقطورة وحجور، فعندئذٍ يكون لديه سبع زوجاتٍ في الأقل[٢]. وقد صرّح العهد القديم، بأنّ النبي يعقوب عليه السلام كان له أربع زوجاتٍ: زوجتان [حرّتان] اسمهما راحيل وليَة (ليئاه) وأمَتان اسمهما زلفة وبُلهة[٣].

وقد ورد في الكتاب المقدس، أنّه كان للنبي موسى عليه السلام زوجتان في الأقل: الأولى: هي التي تزوجها في مدين، وقد أكّده الإسلام وإن لم يذكر القرآن الكريم اسمها واسم أبيها، وقد اكتفى بذكر أصل قصّة حضور موسى في مدين وتزوّجه بامرأة من مدين[٤]، لكنّ الروايات الإسلاميّة تعرّفها على أنّها صفورا ابنة شعيب النبي عليه السلام[٥]، ويعرّفها الكتاب المقدس على أنّها صفورة ابنة رعوئيل كاهن مدين[٦]، وقد أخذها موسى معه من مدين إلى مصر. والثانية: امرأة حبشية تزوّجها موسى عليه السلام بعد خروجه من مصر، وكان هارون عليه السلام ومريم، شقيقا موسى عليه السلام، ضدّ هذا الزواج وقد احتجا عليه[٧].

ومن بين الأنبياء السلف، كان للنبيين داود وسليمان العديد من النساء؛ فقد تحدّث الكتاب المقدس عن النساء المتعدّدة لهما، من زوجات وجوارٍ. وإليك بعض أزواج داود المذكورة أسماؤهنّ في الكتاب المقدس: ميكال ابنة شاؤول (طالوت)[٨]، وأبيجايل أرملة

پرتال جامع علوم انسانی

١. سفر التكوين ٢٥: ٦.
٢. لاستزادة المعرفة، انظر: *تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام* ١١.
٣. انظر: سفر التكوين ٢٩: ٤ـ٣٠.
٤. القصص، ٢٢ـ٢٩.
٥. *بحار الأنوار*، ج١٣، ص٢١.
٦. سفر الخروج ٢: ١٦ـ٢١.
٧. سفر الأعداد ١٢: ١.
٨. أول سموئيل، ١٨: ٢٧.

نابال الكرملي[١]، وأخينو عم اليزرعيلي[٢]، ومعكة بنت ثيلما ملك يشور[٣]، وحِجّيت وأبيطال وعجلة[٤]. وتظهر بعض البحوث أنه كان لداود ما لا يقل عن ٢٩ زوجة و٤٠ جارية، وبذلك كان عدد النساء تحته ٦٩ امرأة[٥].

وكما ورد في العهد القديم، كان النبي سليمان عليه السلام يحبّ النساء حبّاً شديداً وكان له سبعمائة زوجة وثلاثمائة متعة[٦]. طبعاً تجدر الإشارة إلى أنّ العهد القديم قد أساء إلى النبي سليمان عليه السلام إذ قال إنّ نساء سليمان أعرضن عن الإيمان بالله الواحد إلى آلهة الشرك، فكفر سليمان بالله الواحد وعبد آلهة الطاغوت، وبنى معبدًا للأوثان التي يعبدها أزواجه وأهليهنّ[٧]، ولكنّ القرآن الكريم رفض بشدّة هذا الاتّهام وبرّأ النبي سليمان من تهمة الكفر هذه[٨].

تظهر هذه الدراسة الموجزة، أنّ تعدّد الزوجات لم يكن مختصّاً بالنبي محمّد ﷺ، بل كان لسائر الأنبياء زوجات متعدّدة أيضاً، ويبدو أنّ من بين أنبياء الله، لم يكن هناك سوى نبيَّين معاصرين، هما عيسى ويحيى عليهما السلام، وقد توفّيا دون أن يتزوّجا في سنّ مبكّرةٍ ما يناهز ثلاثة وثلاثين عاماً؛ فأمّا يحيى فقد قُتل، وأمّا عيسى فقد شُبّه للنصارى أنه قُتل وصُلب، لكنّ الأصح - كما في القرآن - رفعه الله إليه وأبعده عن الناس. والظاهر أنّ الظروف في زمنهما كانت بحيث لم يتح لهما فرصة الزواج، ولم يتمكّنا من اختيار زوجة، لكنّ سائر الأنبياء كان لهم أزواج أقلها واحدة، ولم يكن النبي محمّد ﷺ مستثنى من هذه القاعدة.

١. أول سموئيل ٢٥: ٤٠ـ٤٢.
٢. أول سموئيل ٢٥: ٤٣.
٣. دوم سموئيل ٣: ٣.
٤. ثاني سموئيل ٣: ٤ـ٥.
٥. *تعدد نساء الأنبياء*، ٣٣؛ وكذلك، انظر: *نساء العهد القديم*، ص ٢١ـ٢٢.
٦. أول الملوك ١١: ٣.
٧. المصدر نفسه، ٤ـ٨.
٨. ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ﴾ (البقرة، ١٠٢).

٥-٢) تعميم القيم الزمكانيّة المحدّدة على كلّ زمان ومكان

ويرد عليها أيضاً أنّ أصحاب الشبهة هذه يعممون قيمهم الزمانيّة والمكانيّة المحددة على كلّ زمانٍ ومكانٍ. صحيح أنّ تعدّد الزوجات اليوم في المجتمعات الغربيّة يعتبر ضدّ حقوق المرأة، وقد تسرّبت هذه النظرة من الغرب إلى سائر المجتمعات البشريّة، لكن أوّلاً، من حيث الموقع والجغرافيا، لا يُحرم تعدّد الزوجات في بعض البلدان حتّى في زمننا هذا، فيمكن للرجل أن يتّخذ عدّة زوجات حسب ظروفه الشخصيّة والاجتماعيّة، وإنّ تعدّد الزوجات شائعٌ في مختلف الدول الآسيويّة، بما فيها الدول العربيّة ودول شبه القارة الهنديّة. وكما هو الحال في بلدان القارة الأفريقيّة، فإنّ تعدد الزوجات ليس منافياً للقيم الأخلاقيّة.

أضف إلى ذلك أنّ أهمّ شيءٍ في مسألة تعدّد الزوجات هي أنّ المرأة على أيّة حال تقف على طرفٍ من القضيّة. فصحيح أنّ الزوجة الأولى للرجل قد لا ترضى بدخول ضرّة أو ضرائر في حياتها؛ لكنّ الزوجة الثانية فما فوق، تختار أن تكون زوجة لرجلٍ متزوّجٍ بالفعل، وبالتالي، تُوافق الزوجة الثانية والثالثة وغيرهما على تعدّد الزوجات وترغب في أن تكون إحدى زوجات الرجل المتزوّج. فإذا كان تعدّد الزوجات يشكّل انتهاكاً لحقوق المرأة، فكان عليهنّ أن يرفضن ذلك ولا يدخلن تحت عصمة رجلٍ متزوّجٍ وله زوجات من قبل.

وعلى أيّة حال، شاع تعدّد الزوجات اليوم في مختلف البلدان والمجتمعات، ولا يعتبر ضدّ القيم أو ضدّ حقوق الإنسان أو ضدّ حقوق المرأة، وهناك العديد من النساء في بلدانٍ مختلفةٍ، هنّ على استعدادٍ للزواج من رجلٍ متزوّج بالفعل؛ ولذلك، فإنّ أحد الإشكالات المهمّة على هذه الدعوى هو تعميمها للرؤية والثقافة والقيم الخاصّة بزمان ومكان محددين على أزمنة وأماكن أخرى.

ثانياً، من حيث الزمان، فإنّ عصر النبي ﷺ والقيم السائدة فيه كانت تختلف عمّا نجده في العصر الحاضر. ففي زمن النبي كان تعدّد الزوجات أمراً شائعاً وطبيعيّاً، ولم يكن هناك قيودٌ على عدد زوجاتِ الرجل، وكان لبعض الناس في زمن النبي عشر

زوجات[١]. فعلى سبيل المثال، نوفل بن معاوية الديلي، كان من الطائف وأسلم في السنة الثامنة للهجرة، كان له خمس زوجات عندما أسلم[٢]. وغيلان بن سلمة الثقفي كان له عشر نساء أسلمن جميعهنّ في فتح الطائف[٣]. وكذلك قيس بن الحارث الأسدي، كان له ثماني نساءٍ حين أسلم في السنة التاسعة للهجرة. فمن الواضح أنّ تعدّد الزوجات كان شائعاً في زمن النبي، ولم يكن ذلك مقيّدًا بعددٍ محدّدٍ.

٥-٣) تجاهل الظروف والأحوال والمتطلّبات الخاصّة للمجتمع

إنّ ظروف المجتمع البشريّ أحيانا تقتضي تعدّد الزوجات فمثلاً بعد حدوث حربٍ في بلدٍ ما، قد يُقتل عددٌ كبير من الرجال، وتترمّل النساء، فيجوز حينئذٍ للرجل الواحد أن يختار عدّة زوجات إذا كان لا بدّ منه، وبالمناسبة كان النبي ﷺ في مثل هذه الظروف؛ فقد حدثت عدّة حروبٍ في عهده واستشهد أصحابُه، وكان لا بدّ أن يعتني هو وسائر المسلمين بأرامل أصحابهم ويتزوّجوهنّ، وكما رأينا فإنّ زواج النبي ببعض النساء كان لهذه الغاية.

بعبارة أخرى، كان موقف النبي ﷺ يتطلّب تعدّد الزوجات بناءً على ثقافة عصره، وإذا اقتصر على زوجةٍ واحدةٍ، كان ذلك مخالفة للعرف. فمنذ العصور البعيدة وإلى يومنا هذا، كانت العرف العام في العالم هو أنّ المشاهير وكبار الشخصيّات يختارون زوجاتٍ متعدّدة؛ وكان بعض أصحاب النبي لديهم زوجاتٍ عديدة. وبغض النظر عن رغبة النبي في تعدّد الزوجات أو عدمه، فقد كان هناك العديد من الفتيات والنساء المشهورات من أشراف القبائل يرغبن في الزواج منه، ولم يكن أحدٌ يعتبر ذلك حينئذٍ مخالفاً للعادة أو العرف، كما لم يكن مخالفًا للشريعة؛ فطبقاً للشواهد التي تستفاد من التاريخ، أنّ النبي ﷺ كان تحت ضغطٍ شديدٍ من قبل مختلف الأفراد و القبائل لكي يتزوّج من

١. *البحر المحيط*، ص٢٢٦.
٢. *مسند الإمام الشافعي*، ج٢، ص١٦.
٣. *تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي*، ٥٩٨/٣؛ *الأعلام*، ١٢٤/٥.

قبائلهم، فنزلت الآية ﴿**لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً**﴾[1] ومنعت المزيد من النكاح ما عدا الإماء، وهذا يدلّ على العرف السائد في عصر النبي.

٥-٤) تجاهل الحكمة وراء تعدّد زوجات النبي ﷺ

لقد أثيرت هذه الشبهة متجاهلةً الحكمة الكامنة وراء تعدّد زوجات النبي. ويبدو أنّه بالإضافة إلى الأسباب الخاصّة بزواجه من كلّ زوجة، كان المقصود أيضاً تعليم الشريعة الإسلاميّة للنساء، أو كان ذلك نتيجة طبيعيّة للزواج من النبي ﷺ؛ كما أنّ أم سلمة وعائشة أصبحتا من النساء المحدّثات والفقيهات، وقد وصل الكثير من معارف الدين إلى أيدي المسلمين عن طريق زوجات الرسول. فإنّ أصحاب هذه الشبهة قد تجاهلوا الحكمة المذكورة ولم يلتفتوا إليها.

٥-٥) التغافل عن خصائص النبي ﷺ والأحكام المختصة به

السؤال المهم هو أنّه على افتراض أن الأوضاع الاجتماعيّة كانت تقتضي تعدد الزوجات، فلمَ كان للنبي ﷺ وحده أن يتّخذ عدّة زوجات، بينما لا يحقّ لسائر المسلمين اختيار أكثر من أربع زوجات؟ يمكن الإجابة عن هذا السؤال من جانبين، وفي الواقع يكمل كلّ منهما الآخر.

فأمّا الجواب الأوّل فهو من خلال العناية بخصائص النبي ﷺ والأحكام المختصّة به، فإنّ النبي، كما سبق، مع أنّه يشترك في العديد من الأحكام مع المسلمين، إلّا أنّ هناك أحكاماً خاصّة به ينفرد بها، وبعض هذه الأحكام عبارة عن واجباتٍ لابدّ له من أدائها

١. الأحزاب، ٥٢.

دون غيره، كما أنّ صلاة الليل واجبةٌ على النبي حصراً[١]؛ لكنّ بعضها الآخر هي من حقوق النبي الخاصّة التي تمنحه المزيد من السلطة والصلاحيّة؛ منها حق الزواج بأكثر من أربع نساء[٢].

والجواب الثاني، وهو جواب مهمّ وجوهري، ومكملٌ للجواب الأوّل، هو العناية بتاريخ نزول حكم حصر النساء في أربع؛ فما يحظى بأهمّيّة بالغةٍ هو كما ذكر في الملاحظة الأولى والثانية، أنّه في زمن النبي والمجتمعات التي قبله كان تعدّد الزوجات شائعاً ومتعارفاً، حيث كان كثير من الناس يتزوجون بأكثر من امرأة، ولم يكن ثمة حد لعدد الزوجات. والإسلام بوصفه يهتمّ دائماً بعنصري العدالة والاعتدال في القضايا الاجتماعيّة، حصر عدد الزوجات في أربع كحدّ أقصى هذا أوّلاً، وثانياً اشترط في تعدّد الزواج إقامة العدل بين الزوجات[٣]، وقد ورد هذا الحكم في الآية الثالثة من سورة النساء، وتوجد تفاصيل مهمّة في تفسير هذه الآية لا يسع المجال لذكرها في هذه العجالة، لكن باختصار يلزم القول إنه لا بدّ من دراسة تاريخ نزول هذه الآية وسبب عدم شمول حكمها النبي الأكرم ﷺ.

إنَّ سورة النساء سورة مدنية، وهي السورة الرابعة في ترتيب المصحف الشريف، لكنها في ترتيب النزول هي السورة الثانية والتسعون في القرآن الكريم. ومع ملاحظة أنّ نزول بعض السور، خاصّة السور الطوال كالنساء، كان تدريجيّاً، حيث نزلت آياتها

١. وقد ورد حكم وجوب صلاة الليل على النبي في سورتين من القرآن الكريم، هما المزمل (١ـ٢) والإسراء (٧٩). للمزيد من المعرفة، انظر: *مجمع البيان في تفسير القرآن*، ٥٦٩/١٠.

٢. لاستزادة المعرفة حول الأحكام الخاصة بالنبي، انظر: «خصائص النبي»، غلامعلي حداد عادل (مشرف)، *دانشنامه جهان اسلام*، ٥٤٤/١٥ـ٥٤٨؛ *الخصائص النبوية المسماة فتح الكريم القريب شرح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب*، كل الكتاب خاصة من ص١٩ فما بعد؛ *الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب*؛ *خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء: عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة*.

٣. ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ**﴾ (النساء: ٣).

على مدى عدّة سنوات، فإنّ بداية نزول آيات سورة النساء كانت في السنة الرابعة بعد غزوة الأحزاب أو في بداية السنة الخامسة، ويبدو بناء على بعض الأدلّة اللاحقة أن نزول آياتها استمرّ إلى نهاية السنة السابعة الهجريّة؛ فلابدّ من النظر فيها لمعرفة تاريخ نزول الآية المتعلّقة بحصر عدد الأزواج.

والحقيقة أنّ أغلب المفسرين لم يتطرّقوا إلى تاريخ نزول كثير من الآيات. أمّا بالنسبة للآية الثانية من سورة النساء والتي تبدو مرتبطة بالآية الثالثة (آية حصر الزوجات في أربع نساء) ونزلتا معاً، فقد قيل إنّ الآية الثانية نزلت في رجلٍ من غطفان، كان يعيل أيتام أخيه، ولهم أموالٌ كثيرة؛ فلمّا بلغوا سنّ الرشد طالبوا بأموالهم، فأبى أن يردّ أموالهم، فخاصموه إلى النبي ﷺ فأمر بردّ المال إلى صاحبه وقرأ عليه هذه الآية[١]. إذن؛ لتحديد تاريخ نزول الآية، لا بدّ من البحث في تاريخ إسلام قبيلة غطفان.

يرى أصحاب السير أنّ النبي ﷺ التقى بقبيلة غطفان في غزوة ذات الرقاع، وكانت هذه الغزوة في السنة الخامسة للهجرة[٢]، وقبيلة غطفان قد أسلمت في تلك السنة، لكنّ المزيد من التحقيق في هذه الغزوة يظهر أنّها لم تحدث إلّا بعد السنة السابعة للهجرة؛ لأنّ أبا موسى الأشعري وأبا هريرة قد شهدا هذه الغزوة؛ أمّا أبو موسى الأشعري فقد انضم إلى صفوف المسلمين في غزوة خيبر، أي في السنة السابعة للهجرة، وأمّا أبو هريرة فهو أسلم قبل بضعة أيام من فتح خيبر[٣]؛ فإنّ غزوة ذات الرقاع، وبالتالي إسلام قبيلة غطفان كان في السنة السابعة أو الثامنة للهجرة، وهاتان الآيتان في محلّ البحث نزلتا بعد هذا التاريخ، أي في السنة الثامنة. وكما ذكرنا في تراجم زوجات النبي ﷺ وتاريخ زواجهنّ، فإنّ آخر زوجة تزوّجها النبي هي ميمونة بنت الحارث الهلالي، وذلك في السنة

١. *تفسير مقاتل بن سليمان*، ١/٣٥٦.
٢. انظر: *السيرة النبوية وأخبار الخلفاء*، ١/٢٤٩؛
٣. *البداية والنهاية*، ٤/٨٣.

السابعة للهجرة في عمرة القضاء؛ ومن هنا يتبيّن أن زواج النبي ﷺ بجميع نسائه كان قبل نزول الآية التي حصرت الزوجات بأربع نساء، وأنّ النبي لم يتّخذ زوجةً قطّ بعد نزول هذه الآية.

وممّا تجدر الإشارة إليه في هذه الآية أنّه بعد نزول الآية الثالثة من سورة النساء أمر النبي ﷺ من كان لديه أكثر من أربع زوجات أن يختاروا أربعاً منهنّ ويطلّقوا الباقي؛ كما أنّ ظاهر الآية يدل على الإطلاق ويشمل جميع الرجال بما فيهم النبي. وبالتالي يجب أن نرى ما إذا كان تملّك أكثر من أربع زوجات هو من الأحكام (الحقوق) الخاصّة بالنبي، وبالتالي كان له أن يختار أي عدد يريده من النساء حتّى بعد نزول الآية الثالثة من سورة النساء، أم أن الآية شملت النبي أيضًا.

خير ما يرشدنا إلى الإجابة عن السؤال المذكور آنفاً، هو الآية ٥٠ من سورة الأحزاب؛ فهي تنصّ على أنّه يجوز للنبي ﷺ أن يكون له نساء يتزوجهنّ مقابل المهر، ويأخذ الجواري المملوكة، ويتزوّج من النساء اللاتي وهبن أنفسهنّ له بغير مهر، وقد انفرد النبي بهذا الحكم، دون غيره من المؤمنين[1]. ومع أنّ هذه الآية لا تشير إلى عدد زوجات النبي، إلّا أنّ ظهورها دليلٌ على انفراده بالحكم؛ فيمكن أن يستنبط منها أنّ النبي له الحقّ في اختيار زوجةٍ دون التقيّد بعددٍ معيّنٍ، وهذا الحكم من خصائص النبي ﷺ. لكن النقطة المهمّة هي أنّ رسول الله ﷺ لم يستخدم هذا الحق الخاص قطّ، ولمّا نزلت الآية الثالثة من سورة النساء ونهت عن الزواج بأكثر من أربع زوجات، لم يتّخذ النبي زوجةً أخرى.

المسألة الوحيدة المتبقية هي أنّ النبي ﷺ، ومع أنّه لم يختر زوجةً جديدة، إلّا أنّه لم يقلّل أيضاً من عدد زوجاته إلى أربع؛ فمن الواضح أنّ السبب هو أنّ النبي بموجب الآية ٥٠ من سورة

١. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأحزاب، ٥٠).

الأحزاب، قد أعفي من حكم الآية الثالثة من سورة النساء، وبالتالي لم يشترط عليه تقليل زوجاته إلى أربع، لكن هناك نقطةٌ أخرى مهمّة، وهي في الحقيقة تعود إلى سبب هذا الانفراد، أي لماذا لم يشمل هذا الحكم النبي كسائر الناس؟ ويبدو أنّ سبب عدم اشتمال حكم تحديد الزوجات على النبي ﷺ هو أنّ أزواجه بحكم القرآن الكريم كنّ بمنزلة أمّهات المؤمنين[1]، ولم يكن لهنّ حقّ في الزواج من رجل آخر[2]؛ إذن، لو اشترط على النبي أن يكون له أربع زوجاتٍ، ويخفّف عددهنّ إلى أربع لكان ذلك إجحافاً في حقّ نسائه المطلقات؛ لأنّهنّ من ناحيةٍ، قد أصبحن أيامى، ومن ناحية أخرى، لم يكن لهنّ الحقّ في الزواج من رجل آخر.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١. ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب، ٦).
٢. ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب، ٥٣).

نتيجة البحث

لقد درسنا في هذا المقال ما نُسب للنبي من أنّ تعدّد زواجه كان اتّباعًا للرغبة الجنسيّة. وقد خلصنا إلى أنّ الرسول الأكرم ﷺ اكتفى بزوجةٍ واحدةٍ حتّى سنّ الثالثة والخمسين من عمره، وبناءً على القول المشهور، كانت خديجة أكبر من النبي بخمس عشرة سنة ولم يتزوّج حتّى ماتت خديجة وهو في الخمسين من عمره؛ ثمّ تزوّج سودة بنت زمعة، وكانت هي أيضاً أرملة وأكبر منه، وقد بقي معها ثلاث سنوات ولم يكن له زوجة أخرى، وبهذا يكون قد قضى مرحلة الشباب، وهي عهد الفحولة، مع امرأتين كبيرتين، وبعد ذلك اتّخذ النبي ﷺ زوجات أغلبهنّ كنّ بتوصية من أصحابه أو أزواجه، أو بأمرٍ من الله لتثبيت أحكام الشريعة. وعلى أية حال توصلنا، في هذه الدراسة الموجزة، إلى نتيجة أنّ الوجود المقدّس للنبي الأكرم ﷺ بريءٌ من تهمة الشهوانيّة وأن الزواج المتعدّد للنبي إنّما كان لأسبابٍ طبيعيّةٍ وأخلاقيّةٍ وقيميّةٍ وسياسيّةٍ ودينيّةٍ.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

مصادر البحث

القرآن الكريم.
الكتاب المقدس، ترجمة إيلام، لندن، إيلام، ١٩٩٦م.
١. ابن أثير الجزري، علي بن محمّد، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ق.
٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن، *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، تحقيق: محمّد عبدالقادر عطا وآخرون، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٢ق.
٣. ابن حبيب، محمّد، *المحبر*، تحقيق: سيد كسروي حسن، القاهرة، دار الغد العربي، ط: ١، ١٤٢١ق.
٤. ابن سعد، محمّد، *الطبقات الكبرى*، بيروت، دار الصادر، ١٣٧٦ق.
٥. ابن سليمان، مقاتل، *تفسير مقاتل بن سليمان*، تحقيق: عبدالله شحاتة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣ق.
٦. ابن كثير، إسماعيل، *البداية والنهاية*، تصحيح: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، ط: ١، د.ت.
٧. ابن ماجة القزويني، محمّد بن يزيد، *سنن ابن ماجة*، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٥م.
٨. ابن هشام، عبدالملك، *السيرة النبويّة*، باهتمام مصطفى السقا وآخرون، مصر، مطبعة مصطفى البابي الجلبي وأولاده، ١٣٥٥ق.
٩. أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمّد بن يوسف، *البحر المحيط*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م.
١٠. أحمد عبد الوهاب، *تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام*، القاهرة، مكتبة وهبة، ط:١، ١٤٠٩ق.
١١. الأهدل، محمّد بن أحمد، *الخصائص النبويّة المسمّاة فتح الكريم القريب؛ شرح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب*، جدّة، وزارة الإعلام، ١٤٠٦ق.
١٢. البستي، محمّد بن حبان، *السيرة النبوية وأخبار الخلفاء*، تصحيح: عزيز زند، بيروت، مؤسّسة الكتب الثقافية، ١٤١٧ق.
١٣. البلاذري، أحمد بن يحيى، *أنساب الأشراف*، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ط:١، ١٤١٧ق.
١٤. جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، بيروت، دار العلم للملايين، ط:٢، ١٤٠٨ق.
١٥. الحرّ العاملي، محمّد بن حسن، *وسائل الشيعة*، قم، مؤسّسة آل البيت، ط:٢، ١٤١٢ق.
١٦. حسيني سمناني، بتول، «خصائص النبي»، غلامعلي حدّاد عادل (مشرف)، *دانشنامه جهان اسلام*، ج١٥، طهران، مؤسسة دائرة المعارف الإسلاميّة، ١٣٩٣ش.

١٧. الحلبي، محمود طعمة، *نساء حول الرسول*، بيروت، دار المعرفة، ط:٣، ١٤١٩ق.
١٨. الخيامي، أمير مهنا، *زوجات النبي وأولاده: سيرة وتاريخ*، بيروت، مؤسّسة عزّ الدين، ١٤١٦ق.
١٩. الدار قطني، علي بن عمر، *سنن دار الدار قطني*، بيروت، دار ابن حزم، ٢٠١١م.
٢٠. داون بورت، جان، *عذر تقصير به پيشگاه محمد و قرآن*، ترجمة: غلامرضا سعيدي، باهتمام هادي خسرو شاهي، قم، كلبه شروق، ١٣٩١.
٢١. ديورانت، ويل، *تاريخ تمدن*، ترجمة: أبو القاسم باينده، طهران، إقبال، ١٣٤٣.
٢٢. الزركلي، خير الدين بن محمود، *الأعلام*، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
٢٣. سبهر، محمّد تقي، *ناسخ التواريخ: تاريخ قاجاريه*، باهتمام جمشيد كيان فر، طهران، أساطير، ط:١، ١٣٧٧ش.
٢٤. سعيد أيوب، *زوجات النبي، قراءة في تراجم أمهات المؤمنين*، بيروت، دار الهادي، ط:١، ١٤١٧ق.
٢١. سورني، برومند وآخرون، «ازدواج‌هاى سياسى: از آمدن تيموريان تا ظهور صفويان»، *البحوث التاريخية*، رقم ٣٩، خريف ١٣٩٧.
٢٦. السيوطي، أبوبكر بن عبد الرحمن، *الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب*، تحقيق: محمّد خليل هراس، [مصر]، دار الكتب الحديثة، د.ت.
٢٧. الشافعي، محمّد بن إدريس، *مسند الإمام الشافعي*، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٥١م.
٢٨. شاهين، عبدالصبور والرفاعي، إصلاح عبد السلام، *موسوعة أمهات المؤمنين: دراسة في سيرهنّ ومروياتهنّ*، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط:١، ١٤١٢ق.
٢٩. الشعراوي، محمّد متولي، *زوجات النبي وآل البيت*، بيروت، المكتبة العصرية، ط:١، ١٤٢٤ق.
٣٠. صادق بن محمّد، *خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء: عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة*، رياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠٠م.
٣١. الطبرسي، فضل بن حسن، *مجمع البيان في تفسير القرآن*، مقدمة: محمّد جواد بلاغي، طهران، ناصر خسرو، ط:٣، ١٣٧٢ش.
٣٢. الطبري، محمّد، *تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، د.ا، د.ت.
٣٣. العاملي، جعفر مرتضى، *الصحيح من سيرة النبي الأعظم*، قم، دار الحديث، ١٤٢٦ق.
٣٤. عبد الغني، عبد الرحمن محمد، *زوجات النبي وحكمة تعدّدهن*، مصر، مكتبة مدبولي، د.ت.

٣٥. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، *الإصابة في تمييز الصحابة*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٥ق.
٣٦. عليان، سليمان، *نساء العهد القديم*، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط:١، ١٤١٧ق.
٣٧. قربان نجاد، بريسا وبات، فريبا، «كاركرد ازدواج‌هاى سياسى در تنظيم روابط حكومت‌هاى متقارن از قرن ٤ـ٧ ق»، *مجلة تاريخ إيران العلميّة والبحثيّة*، رقم ٣٠، ربيع وشتاء ١٤٠٠.
٣٨. القطب، محمّد علي وآخرون، *نساء حول الرسول: تراجم وقصص*، بيروت، المكتبة العصرية، ط:١، ١٤٢٥ق.
٣٩. كارلايل، توماس، *الأبطال: تاريخ حيات پيغمبر اسلام*، ترجمة: أبو عبد الله زنجاني، تبريز، مكتبة سروش، ط:٣، ١٣١٥.
٤٠. لوبون، غوستاف، *تمدّن إسلام وعرب*، ترجمة: هاشم رسولي محلاتي، طهران، كتابچي، ١٣٨٧.
٤١. مبارك فوري، محمّد عبد الرحمن، *تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي*، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠١م.
٤٢. المجلسي، محمّد باقر، *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار*، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ط:٢، ١٤٠٣ق.
٤٣. المسعودي، علي بن الحسين، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، قم، نشر الشريف الرضي، ط:١، ١٤٢٢ق.
٤٤. مصباح اليزدي، محمّد تقى، *معارف قرآن: خداشناسي، كيهان شناسي، إنسان شناسي*، قم، مؤسّسة الإمام الخميني للتعليم والبحوث، ١٣٨٩.
٤٥. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، *تاريخ اليعقوبي*، بيروت، دار الصادر، د.ت.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی